



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

العراق نحو بناء قوة ناعمة: كأس الخليج العربي (25)

د. عماد رزيك عمر



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍّ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تمُّ الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبّر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2023

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

العراق نحو بناء قوة ناعمة: كأس الخليج العربي (25)

د. عماد رزيك عمر*

شهد العراق -مع مطلع عام 2023- انطلاق بطولة كأس الخليج العربي (25) في البصرة، وتبرز أهمية الحدث نظراً إلى الانقطاع الطويل عن إقامة هكذا بطولات؛ نتيجة الحظر الدولي المفروض منذ عام 1990، وتؤدّي مثل هذه المحافل الرياضية دوراً مهماً في السياسة الدولية، إذ بدأت الدول باستخدامها كجزء من التحول المتزايد نحو استخدام (القوة الناعمة) على حساب (القوة الصلبة)، والقوة الناعمة وُقِّف مفهوم (جوزيف ناي) الذي يشير إلى أهما قوة مزيج من الجاذبية والإغراء، وأن تكون جذاباً للآخرين بوسائل لا تقوم على الإكراه⁽¹⁾، بل تعتمد على الرياضة والثقافة والفنون والتاريخ والآثار، وتبرز أهمية هذه الوسائل بأنها آمنة نسبياً، وطريقة مضمونة لتحسين صورة البلد، وكذلك العمل على استعادة المصدقية والمكانة والقدرة على التنافس الاقتصادي وجذب الاستثمارات، والعراق نتيجة المنعطفات التي مرت من حروب وحصار واحتلال و أحداث طائفية وصدمة الإرهاب بداعش، كل هذه الأحداث بمجملها عملت على ترسيخ صورة التشظي وعدم الاستقرار، وأصبح مصطلح (العرقنة) يطلق على الظواهر الشبيهة بحالة العراق كجزء من الصورة النمطية التي علفت في الرأي العام، سواءً الرسمي أم الشعبي، لذا تُعدُّ القوة الناعمة في الوقت الحالي مورداً رئيساً للعراق يمكن التعويل عليه، والعمل على صياغة إستراتيجية متكاملة تعتمد على وزارة الخارجية بالاعتماد على الدبلوماسية العامة، بعد أن عملت وزارة الشباب والرياضة والاتحاد العراقي لكرة القدم والحكومة المحلية في البصرة بجد وقوة بالاتجاه نحو هذه الأداة عن طريق استضافة هذه البطولة، والعمل على طمأننة الأطراف في الاتحاد الخليجي بأنَّ البلد قادر على إنجاز هذه الدورة،

1. جوزيف ناي : القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية ترجمة محمد توفيق البجيرمي ، ط1، العبيكان ، الرياض ، 2007،ص26.

* كلية القانون والعلوم السياسية في جامعة الأنبار.

وجاءت الأصداء كبيرة وإيجابية حول افتتاحية كأس الخليج العربي (25)، وعلى جميع المستويات سواءً من ناحية عدد الجمهور الذي تجاوز (65) ألف متفرج أم من فخامة العرض حين تحلّل صوراً من تاريخ العراق، وبعض الأساطير المعروفة.

كان لهذا الاستعراض الثقافي في افتتاحية بطولة رياضية الأثر الكبير في الوجدان الشعبي العربي، بل تجاوز في مدياته الإقليم العربي، وأُشيد به عالمياً، وهنا حققت البطولة عن طريق الافتتاحية فقط هدفين مزدوجين:

الأول: إعادة ترميم الصورة الذهنية عن العراق عن طريق عملية تكثيف الرموز المتأصلة في الوجدان.

الثاني: منح ثقة ومصداقية للبلد بأنّه قادر على إقامة الفعاليات الكبيرة ويتمتع بالقدرة الاقتصادية اللازمة.

وفي ضوء مؤشرات بطولة كأس الخليج العربي (25) يمكن مناقشة النقاط التالية وتحليلها:

أولاً: الإرث الحضاري ذخيرة القوة الناعمة

تعتمد الدول في توليد القوة الناعمة على السمات التي تتميز بها عن غيرها من المجتمعات، إذ تفتخر اليونان بالثقافة (الهيلينية) التي انتشرت في كل العالم، وتعتمد مصر على الآثار الفرعونية المبهرة، في حين تعتمد إيطاليا على العناصر الشهيرة لثقافتها، وهي الفن والموسيقى والأزياء، والعراق من الدول التي تتمتع بإرث ثقافي كبير، إذ مرّت عليه عديد من الحضارات، ومنها الحضارة العربية الإسلامية التي كانت بغداد فيها عاصمة العصر الذهبي، وتمتاز هذه الحضارة عن الأخرى بأنّها ما زالت حية عن طريق ثقافتها ولغتها وآدابها مع خمولها، وهذه ميزة للعراق على جميع البلدان

للتقافة العليا، والتي تتضمن مجموعة القيم والرموز والمنجزات الحضارية التي تبناها البلد المنظم، والتي عن طريقها يريد أن يقدم نفسه بتعبيرها عن الجميع، ولها أبعاد سياسية، ربما ما قُدِّم في الافتتاح لم يتسم بالنضوج المتناهي، وبصورة عرضية إلا أنَّ وقعه كان كبيراً، أمَّا الثقافة الشعبية على عكس الثقافة العليا ربما لا يكون لها تأثير سياسي بصورة مباشرة، ولكن القوة الناعمة تأثيرها الفعلي يكون عن طريق هذا النوع من الثقافة، وأهميتها أمَّا تنبعث عن طريق الفئات الشعبية، فلا يمكن للحكومة أن تخلق هذه النوع من القوة إلا عن طريق مجتمعاتها، فهي الناشر الرئيس للتأثير، عن طريق ممارسات الترحيب والحفاوة والفرح، والملابس والأكلات، والتي بمجملها تقدِّم إمتاعاً اجتماعياً، وتقدِّم صورة لا شعورية⁽⁴⁾، فالقيم المحلية مثل: (إكرام الضيف) تعمل مثل القيم السياسية فهي تخلق ترابطاً مع الطبقات الشعبية الدنيا⁽⁵⁾، ومصدر جذب فالكرم من القيم المحببة عربياً وإسلامياً، خصوصاً لجماهير البلدان المشاركة، وأيضاً تعطي تصوراً للآخر أنَّ الهدف الاقتصادي ليس الوحيد، وأنَّنا لسنا بحاجة لأحد، هذه الدبلوماسية الشعبية قد نجحت في العراق في تنظيم كأس الخليج (25) نجاحاً منقطع النظير.

ثانياً: استعادة الهوية الوطنية

في مباراة العراق السعودية معلق قناة (NRT Sport) كان يعلِّق باللغة الكردية، وحينما جاء الهدف الأول أخذ ينتقل بالتعليق إلى اللغة العربية كأنَّ لسان حاله يريد أن يوصل تفاعله لجميع العراقيين، وهذه الصور ليست نادرة في العراق، فحينما فاز المنتخب بكأس آسيا (2007) كانت لحظة فارقة في التاريخ، ويُعدُّ أعظم إنجاز ليس لقيمه الرياضية، بل لانعكاساته الاجتماعية والسياسية، إذ جاء في توقيت كان البلد يمر بمرحلة شديدة التشطي، والتشتُّت عن طريق أحداث العنف الطائفي، ممَّا مثَّل صدمة بتذكيرهم بالهوية الواحدة، لذا تعزَّز الانتصارات

4. جوزيف ناي : مصدر دُكر سابقاً، ص77.

5. المصدر نفسه، ص95.

في الألعاب الرياضية الأكثر فاعلية مثل كرة القدم مؤشرات ثقافية للهوية الوطنية⁽⁶⁾، وحينما يقوم العراق باستضافة بطولة مثل كرة القدم يمثّل فرصة للإجماع الوطني، فهذه اللعبة دوماً بإمكانها تكثيف المشاعر الوطنية، وتجعلها وسيلة ملائمة لإظهار الهوية الجماعية، وثبتت أنّها فعالة في توليد الانتماء، وهكذا يصبح المنتخب الوطني محط تركيز لهذه التخيلات القوية كفريق مكون من أحد عشر شخصاً محدداً أصبحوا رموزاً⁽⁷⁾، كما أنّ المحافل الرياضية تظهر الدولة مجتمعها بأفكارها متفاعلة، وتحاول محو الصورة السلبية، فالدولة الفاشلة بالنسبة لمجتمع الطوائف هي من يتخلّى عنها الكل، أمّا حينما تقوم الدولة بأي إنجاز فكلهم يصبحون أبناءها، وتكون مصدراً للافتخار الوطني. النقطة المهمة الأخرى، تُعدّ المناسبات الدولية فرصةً كبيرةً للأفراد للتعبير عن هويتهم، وإظهار حبهم للبلد. ففي بعض النواحي قد يكون هذا الطريق هو الوحيد لإظهار مشاعر الهوية الوطنية، وبدلاً عن الصور السياسية الأخرى للتعبير⁽⁸⁾ في ظل حالة تشوّت وتشظي الكيانات السياسية؛ بسبب الهويات الفرعية.. هنا تكون القراءة بين السطور للمتلقّي أنّ العراق يقدم نفسه كنموذج لقيم التعايش السلمي، وكذلك كهوية معترف بها على المسرح الدولي، وإذا وجد هذا النموذج الاعتراف، واعتماد إستراتيجية ذكية من قبل المؤسسات الرسمية والشعبية ستمثّل للمجتمعات الأخرى صورة ثقافية للتعرف على التنوع الاجتماعي وكيفية إدارته⁽⁹⁾، خصوصاً أنّ المنطقة العربية -عموماً- تمرّ بخضم تناقضات قومية وطائفية جعلت حدود الصدع بين الطوائف متصلبة، وعملية إيجاد النموذج يمثّل قوة ناعمة تعمل كمصدر جذب حتى لحكومات الدول الراغبة في إيجاد حلول.

6. Adrian Smith and Dilwyn Porter: Sport and National Identity in the Post-War World, First published 2004 by Routledge, 2004, p3.

7. Op. cite. , p5.

8. Harem Hasan and Ahmed Baban: The relationship between sports and national identity in Europe in 20th century, Journal of Garmian University, Vol. 5, Issue 3 , Jul. 2018, p29

9. Op. cit. , p25

ثالثاً: استعادة المكانة المركزية للعراق

كما هو معروف أنّ مكانة العراق تأثرت تأثراً كبيراً إقليمياً ودولياً؛ نتيجة عدم الاستقرار الذي عانى منه، وحالياً يواجه تحديات عديدة الخارجية منها هي التوترات التي تعاني منها المنطقة سوريا، واليمن، والصراع الأمريكي الإيراني، وداخلياً تحديات بناء الدولة والأمة ومظاهر التطرف العنيف، وقدرة الجماعات الإرهابية على الجذب والعدد الكبير من العاطلين عن العمل، في ظل هذا الوضع على العراق استثمار جميع الموارد الإستراتيجية منها العسكرية والدبلوماسية، وقد شكّلت استضافة كأس الخليج العربي في البصرة أداة فاعلة للقوة الناعمة عن طريق آليات عديدة، **الأولى**، هي بناء الصورة عن طريق الاستثمار في رأس المال السياسي بأشكالها دولة مستقرة، وتضمّ مجتمعاً متنوعاً، و**الثانية** عملية بناء الثقة مع الدول الخليجية التي شهدت العلاقات في الفترة ما بعد 2003 تذبذباً كبيراً؛ ممّا يؤدّي إلى مزيد من الانفتاح في العلاقات، وما يتبع ذلك على المستوى العربي، و**الثالثة** هي المتغيرات الاقتصادية التي تنهض بدور مهم، إذ تحفّز الاستضافة المدن على خلق بنية تحتية وبيئة أكثر أمناً واستدامةً، وهذا ما ينعكس مستقبلاً على دخول الاستثمار الخليجي إلى البصرة، وما يتبع ذلك من تطور في العلاقات⁽¹⁰⁾، وهنا أصبح الحدث أكثر صلة بالدبلوماسية (فهو في الواقع فوائده الإستراتيجية بإعادة بثبؤ العراق المكانة المركزية في المنطقة)، وعند النظر إلى مميزات العراق نجد أنّها تتركز فيه ثلاث مركزيات، **الأولى** هي المركزية الإسلامية بوصفه البلد الذي يضم المدارس الفكرية الأولى للمذاهب، وما يرتبط بذلك من تاريخ، و**الثانية** المركزية العربية بوصفه رائداً في الأمن الجماعي العربي، و**الثالثة** المركزية السياسية بما تتوفّر به من مقومات القوة الرئيسة للاقتصاد والسكان والجغرافية. سيقبل التركيز على هذه المركزيات بصورة كبيرة من الاعتماد على القوة الصلبة، وفتح مساحة للإبداع وتشكيل وجهات نظر بديلة للدول في سياساتها، علماً أنّ

10. Håvard Mokleiv Nygård and Scott Gates: Soft power at home and abroad: Sport diplomacy, politics and peace-building, International Area Studies Review, 2013 ,p238.

العراق تراجع تراجعاً كبيراً في قوّته الصلبة، فوفّق تصنيف (غلوبال بور) لعام 2023 يحتلّ العراق المرتبة (45) بين أقوى الجيوش في العالم تتفوّق عليه كل من تركيا وإيران والسعودية⁽¹¹⁾، يمكن معالجة هذا التراجع الكبير عن طريق التكامل بين القوتين الناعمة والصلبة، والإنفاق القليل على القوة الناعمة إذا ما تم بصورة صحيحة سيؤدّي إلى نتائج ذات جدوى مقارنة بالإنفاق الباهظ على القوة العسكرية، خصوصاً أنّ الرأي العالمي أصبح أكثر تأثيراً مع ثورة الاتصالات، وأنّ بناء الصداقة والتفاهم بين شعوب المنطقة يعزّز أمن الدولة، والتعايش السلمي، ويعمّق العلاقات الدبلوماسية، ويعتمد ذلك على الثقافة والتعليم واللغة والقيم، باختصار إنّ الأشياء التي تجعل الناس يحبون بلداً لا يخشونه هي الأشياء التي غالباً ما تكون من منتجات الأشخاص والمؤسسات والعلامات التجارية بدلاً من الحكومات⁽¹²⁾، لذا فمهمة العراق تكون على المستويين الدولي والإقليمي، عن طريق إبراز إسهام العراق الحضاري في المنجز الإنساني الدولي، وقد عملت وزارة الخارجية باتجاه ذلك عن طريق عقد منتدى الحضارات العريقة السادس في بغداد 2022 كنموذج للدبلوماسية الثقافية، ولكن المهم في هذه النشاطات أن تكون متواصلة ومتكاملة مع النشاطات الأخرى⁽¹³⁾.

أمّا على المستوى الإقليمي فسنعرض جانباً حساساً من القوة الناعمة، ألا وهي (الشرعية) في ممارستها، وذلك عن طريق كسب ثقة المتلقي، وإبراز الشبه فيما بينهم، وأنهم جزء لا يتجزأ

11. GLOBAL FIREPOWER: 2023 Military Strength Ranking, , access at 13/1/2023

<https://www.globalfirepower.com/countries-listing.php>

12. John Dubber: How soft power can help meet international challenges, , access at 13/1/2023.

<https://www.britishcouncil.org/research-policy-insight/insight-articles/how-soft-power-can-help-meet-international-challenges>.

13 موقع وزارة الخارجية لجمهورية العراق : العراق يستضيف الحضارات العريقة ، تاريخ الزيارة 13/1/2023
<https://mofa.gov.iq/2022/11/?p=35010>.

والابتعاد عن مواطن عدم الاحترام، أو عدم الثقة عن طريق الانحياز لقيم دون أخرى⁽¹⁴⁾، وهي نقطة حساسة، ويتطلب هذا من العراق العمل على تبني الأفكار المشتركة، وإظهار جاذبيتها للآخر، وبأنها لا تتشارك القيم فقط، بل ترغب أيضاً بالدفاع عنها، والاحتفاء بها بصورة جماعية، وبناء هوية جماعية تسود فوق الهويات الأخرى، فيكون الحدث تعبيراً عنهم، خصوصاً أنه في ظل تنافس القوى الناعمة في المنطقة لبلدان (تركيا، وإيران، والسعودية)، وأخذ هذا التنافس طابعاً مذهبياً في ظل عدم قدرة أحدهم على تغطية الجانبين القومي والديني، وإذا وقرَّ العراق القدرة على ربط الماضي بالحاضر بما يمتلكه من إرث حضاري، وترسيخ التفاهات بين المذاهب والقوى السياسية الرئيسية، وتحويلها إلى قوة للتعبير عن الهوية الإسلامية والعربية والقدرة على إيصال قيمها سيكسر الهيمنة الناعمة للدول الأخرى، وسيبرز العراق كقوة جذب عالمية عن طريق استطاعة التعبير عن الجميع من دون تحيُّز، كل هذه العملية تقوم بما المحافل الرياضية والفنية والثقافية، فقوة الصورة والرمز في عصر التقنيات يضاهي قوة المدفع في العصر الحديث، و صورة (الهولغرام) للبوابة الإسلامية ذات الطراز العباسي في افتتاح كأس الخليج (25)، ودخول منتخبات البلدان المشاركة عن طريقها كانت لها رمزية كبيرة بالإشارة إلى أن العراق يعبر عن الجميع.

التوصيات:

إنَّ المحافل الرياضية عادة ما تكون ذات طبيعة آنية، ينتهي تأثيرها بانتهاء الحدث، ولكن عن طريق النجاح في تنظيم بطولة كأس الخليج العربي (25) خصوصاً في مجال الثقافة الشعبية، فيجب على المؤسسات الرسمية استغلال هذا النجاح، والبناء عليه عن طريق استثمار الموارد الثقافية والحضارية المتاحة في العراق، وتبني إستراتيجية طموحة وواضحة تعيد العراق إلى المسرح الدولي

14. Janice Bially Mattern: Why 'Soft Power' Isn't So Soft: Representational Force and the Sociolinguistic Construction of Attraction in World Politics, Millennium - Journal of International Studies 2005, p595.

مما يعزّز مكانته، ولتحقيق ذلك لا بدّ من اتخاذ الخطوات اللازمة؛ لبناء قوة فاعلة على المستوى الإقليمي والدولي وهي على النحو الآتي:

1. عرض إستراتيجية متكاملة لبناء القوة الناعمة عن طريق التعاون بين وزارة الخارجية، ووزارة الشباب، والرياضة، والمؤسسات التاريخية والفنية والعمل بالتنسيق على أن تكون المحافل المعقودة تعبر عن ثقافة العراق وحضارته، سواءً على المستوى الدولي بتأكيد الحضارات العريقة أم على المستوى الإقليمي بالتأكيد على الحضارة الإسلامية.

2. العمل عن طريق هيئة محدّدة تشكّل لهذا الغرض على تحديد الرموز الحضارية والتاريخية التي لها قوة جذب في الوعي الجمعي، والعمل على تكثيفها ونشرها عن طريق وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة.

3. تأكيد الإسهام في الحضارة الإسلامية لما لها من قوة جذب في الوجدان لشعوب المنطقة والتركيز على المدن: (بغداد، والبصرة، والكوفة، وسامراء)، والعمل على ترميم الأماكن الأثرية فيها، خصوصاً الآثار والرموز العباسية في بغداد لما لها من أثر قوي.

4. العمل على تأسيس جامعة بيت الحكمة في بغداد، التي تهتم بالعلوم والآداب الإسلامية من دون تحيُّز لأي مذهب، والتركيز على المنجز الحضاري، وتكون تابعة للأمانة العامة لمجلس الوزراء وبموازنة كبيرة، يُستقطب فيها أساتذة الجامعات من ذوي المكانة من مختلف البلدان الإسلامية، وتخصّص جزء من المقاعد كزمالات دراسية لكل دولة إسلامية.

5. تفعيل دور العراق في المحافل الدولية عن طريق استضافة القمم الإسلامية والعربية وتقديم البلد كدولة حاضنة للجميع، وجسر بين الثقافات المختلفة.